بتاريخ 26 رجب 1446
المواسعة و المضايقة

الجلسة 62

---

**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ**
**الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِين**

**دِراسة الآية الأخيرة حول وسوسة المعصوم الشِّرِّيرَة**

لقد ترقَّينا فرسَّخنا أنّ الشّيطان لا يُطيق التّدخُّل في حريمهم الفكريّ و الإراديّ أبداً حيث قد صرَّح تعالى عن لسان إبليس: «إلا عبادک منهم المخلَصين». فلا يُمكنه عقلاً أن يَنفُذَ فيَمُسَّ هذه المنزلة الشّامخة إطلاقاً، ففي ضوئه، قد فسَّرنا غموضَ آيات «إلقاءات الشّيطان» و «نزغه» تماماً.

و قد حان الأوان كي نُعالج الآيةَ المتشابهة التّالية: «وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ»[1] حيث قد ترجَم المعظَمُ «الهَمَزات» بمعنى «الوَساوِس الشّيطانيّة حينما يَحضُرون لدى المعصوم» و ذلک نظراً لتوضيحات كتب اللّغة:

1. بأنّ «الهَمَزت» جمعُ «هَمزَة» و همزة الشّيطان أي غَمزُه و بعثُه نحوَ الآثام.

2. و قد فسَّرها صحاح اللّغة أيضاً قائلاً: همزَه أي دَفعه و ضربه.

3. و قد نقَّحه الشّيخ الطّبرسيّ أيضاً قائلاً: «الهمزة شدة الدفع و منه الهمزة للحرف الذي يخرج من أقصى الحلق باعتماد شديد و دفع و همزة الشيطان دفعه بالإغواء إلى المعاصي و قوس همزي: شديدة الدفع للسّهم.»[2] و الدّاعم لهذه الدَّفعات الشّديدة هو أنّ الآية المجيدة قد جَمعت لفظة «الشّياطين» هاتفةً بأنّهم أجمع قد هاجَموا المعصومَ من كلّ حَدَب و صَوب.

بينما قد فشِلَ هؤلاء المترجمون أن يَعُوا مغزى الآية الكريمة، فإنّ صاحب الميزان قد فسَّرها بطَرافة و ظَرافة قائلاً:

«قوله تعالى: «وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ» ..... و في تفسير القميّ، عنه (ع): «أنّه ما يقع في قلبك (فهو) من وسوسة الشّياطين» و في الآيتَين (الله تعالى قد) أمرَه صلّى الله عليه و آله أن يستعيذ بربه من إغواء الشّياطين و من أن يحضُروه «و فيه إيهام إلى أن ما ابتُلي به المشركون (فهو) من الشّرك و التّكذيب من همزات الشّياطين و إحاطتهم بهم بالحضور (لا استحواذِهم على نفس النّبيّ الأكرم و إرادته).»[3]

فعُصارة الأجوبة الصّائبة ستَتجلّى بالنّقاط التّالية:

1. يَبدو أنّ التّفسير المزبور منتسِبٌ إلى عليّ بن إبراهيم القميّ لا إلى نُطق المعصوم، و لهذا نُشاهد ضمن بعض نسخ الكتاب أنّه لم تَرد لفظة «عليه السّلام».

2. لم يُستظَهر من الآية ـ أبداً ـ أنّ «الهَمَزات» قد انصبَّت على تفكير المعصوم و إرادته، بل حينما الشّياطين كانوا يَحضُرون لدى محادَثات النّبيّ الأكرم فكانوا يَهمِزون الأشخاص الغاوين كالمشركين و المنافقين، فلمّا كانوا يُكذّبون النّبيّ فقد أصبحوا أجندةَ «الشّياطين» و مصاديقها، فنظراً لأعدادِهم، قد جَمع تعالى لفظة «الشّياطين» ممّا يُدلّل على استِتباع هؤلاء لأمر الشّيطان في سبيل صدّ النّاس و امتناعهم و تكذيبهم و استهزائهم و إيذائهم و... تجاه أهداف النّبيّ و مَتاعبه.[4]

3. أساساً إنّ الآية قد أُنزِلَت لأجل تعليم النّاس تجاه إغوائات الشّيطان و وَساوِسه حتّى يَمحوا آثار السّيّئات و الموانع ـ وفقاً لما استَورَدته روايات الفريقَين الآتية ـ.

4. بل الآية التي تَليها ستَشهَد لتفسيرنا أيضاً: «حَتّٰى إِذٰا جٰاءَ أَحَدَهُمُ اَلْمَوْتُ قٰالَ رَبِّ اِرْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صٰالِحاً فِيمٰا تَرَكْتُ كَلاّٰ إِنَّهٰا كَلِمَةٌ هُوَ قٰائِلُهٰا وَ مِنْ وَرٰائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ.»[5] فإنّ ضمير «أَحَدَهُمُ» يَنعطِف على «شياطين الإنس» و هم المشركون و أضرابُهم بالتّحديد، فبالتّالي لم يتمّ استظهار «وقوع الهَمزة على قلب النّبي» بتاتاً.

5. و الوَثيقة الأخرى الدّاعمة لمتَّجَهنا هي روايات كتاب الدّر المنثور ناقلاً:: «قوله تعالى: «وَ قُلْ رَبِ» الآيةَ... أخرج ابن أبى شيبة ..... عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم «يُعلّمنا» كلمات نقولُهنّ عند النّوم من الفزع: بسم الله أعوذ بكلمات الله التّامّة من غضبه و عقابه و شرّ عباده و مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ و أَنْ يَحْضُرُونِ.» و (أيضاً قد) أخرج ابن أبى حاتم عن ابن زيد في قوله: «وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ» قال: يحضرون في شي من أمري. و أخرج أحمد عن خالد بن الوليد أنه قال: يا رسول الله إنّي أجد وحشة قال: إذا أخذت مضجَعَك فقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه و عقابه و شر عباده و مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ و أَنْ يَحْضُرُونِ فإنّه لا يضرك و بالحَري أن لا يضرَّك».[6]

6. و الشّاهد التّالي هي بيانات صاحب الكشّاف قائلاً: «الهمز: النَّخس. و الهَمزات: جمع المَرَّة منه. و منه: مهماز الرّائض. و المعنى أنّ الشياطين «يحثون النّاس على المعاصي و يغرونهم عليها» (لا نفس النّبيّ الباطنيّة) كما تَهمِز الرّاضة (و الرّاعي) الدّوابَّ حثاً لها على المشي. و نحو الهمز «الأزّ» في قوله تعالى: «تَؤُزُّهُمْ أَزًّا» أمر بالتعوّذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه، المكرّر لندائه، و بالتعوذ من أن يحضروه أصلا و يحوموا حوله. و عن ابن عباس رضى اللّه عنهما: عند تلاوة القرآن. و عن عكرمة: عند النزع.»[7]

7. و المؤيِّد التّالي مقالة فخر الرّازيّ قائلاً: «اعلم أنه سبحانه لما أدب رسوله بقوله: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ»[8] أتبعه بما به يقوى على ذلك و هو الاستعاذة باللَّه من أمرين: أحدهما: من همزات الشياطين، و الهمزات جمع الهمزة، و هو الدفع و التحريك الشديد، و هو كالهز و الأز، و منه مهماز الرائض، و همزاته هو كيده بالوسوسة، و يكون ذلك منه في الرسول بوجهين: أحدهما: بالوسوسة (بينما قد رفضناه للتَّوّ) و الآخر بأن يبعث أعداءه على إيذائه (و هو الذي قد تقبَّلناه فقط) و كذلك القول في المؤمنين، لأن الشيطان يكيدهم بهذين الوجهين، و معلوم أن من ينقطع إلى اللَّه تعالى و يسأله أن يعيذه من الشيطان».[9]

Ø فرغمَ أنّ فخر الرّازيّ ضمن تفسيرته المذكورة احتَمل انتساب الوسوسة إلى النّبيّ الأكرم إلا أنّه قد أجاد ضمن آية النّزغ، حيث قد أزالَ «شبهة الوسوسة» عن المعصوم قائلاً: «الأوّل: أنّ حاصل هذا الكلام أنه تعالى قال له: إن حصل في قلبك من الشيطان نزغ (لا أنّه قد تحقَّق) كما أنه تعالى قال: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ [الزمر: 65] و لم يدل ذلك على أنه أشرك. و قال: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا [الأنبياء: 22] و لم يدل ذلك على أنه حصل فيهما آلهة. الثاني (و هو أفضَل من سابقه): هَب أنا سلّمنا أن الشيطان يوسوس للرسول عليه السلام، إلا أن هذا لا يقدح في عصمته، إنما القادح في عصمته لو قبل الرسول وسوسته، و الآية لا تدل على ذلك (قبوله). عن الشعبي قال: «قال رسول اللَّه صَلَّى اللّه عليه و سلّم: «ما من إنسان إلا و معه شيطان» قالوا: و أنت يا رسول اللَّه قال: و أنا، و لكنّه أُسلَم بعَون اللَّه، فلقد أتاني فأخذت بحلقه، و لولا دعوة سليمان لأصبح في المسجد طريحاً» و هذا كالدلالة على أن الشيطان يوسوس إلى الرسول صَلَّى اللّه عليه و سلّم، و قال تعالى: «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا

إذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ»[10] الثالث: هب أنا سلمنا أن الشيطان يوسوس، و أنه عليه الصلاة و السلام يقبل أثر وسوسته، إلا أنا نخص هذه الحالة بترك الأفضل و الأولى.»[11]

و نلاحظ عليه بأنّ الوسواس الخنّاس لا يَنفُذ في ساحة المعصوم أبداً حتّى تصِل النّوبة إلى قبوله، و أمّا الرّوايات المذكورة فلم يَستحضِرها الشّيعة ضمن كتبهم أساساً، سوى ما استَورده صاحب البرهان ناقلاً:

«فِي كِتَابِ عِلَلِ الشَّرَائِعِ أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنِ يَحْيَى الْعَطَّارُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ عَبَّاسٍ عَنْ أَسْبَاطٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي رُبَّمَا حَزِنْتُ فَلَا أَعْرِفُ فِي أَهْلٍ وَ لَا مَالٍ وَ لَا وَلَدٍ، وَ رُبَّمَا فَرِحْتُ فَلَا أَعْرِفُ فِي أَهْلٍ وَ لَا مَالٍ وَ لَا وَلَدٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَ مَعَهُ مَلَكٌ وَ شَيْطَانٌ، فَإِذَا كَانَ فَرَحُهُ كَانَ دُنُوَّ الْمَلَكِ مِنْهُ وَ إِذَا كَانَ حَزَنَهُ كَانَ دُنُوَّ الشَّيْطَانِ مِنْهُ، وَ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى: الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَ اللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلًا وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ.»[12]

و نُجيب بأنّا لو سلَّمنا أساس صدورها لَتوجَّب تطبيقها على غير المعصوم نظراً للانصراف المحتوم، و لهذا إنّ آية «الشّيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء» تَهتِف جهاراً بأنّ خطابها إلى سائر العباد ـ دون المعصوم ـ نظراً للمحكَمات السّالفة نظير: «لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاّٰ عِبٰادَكَ مِنْهُمُ اَلْمُخْلَصِينَ»[13] و «بُيُوتٍ أَذِنَ اَللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اِسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهٰا بِالْغُدُوِّ وَ اَلْآصٰالِ * رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِيهِمْ تِجٰارَةٌ وَ لاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اَللّٰهِ وَ إِقٰامِ اَلصَّلاٰةِ وَ إِيتٰاءِ اَلزَّكٰاةِ....»[14]

---

[1] سورة المؤمنون الآية97-98.

[2] مجمع البيان في تفسير القرآن، ج7، ص: 185

[3] الميزان في تفسير القرآن، ج15، ص: 65

[4] و تشييداً لتفسير الأستاذ الجليل، لاحظ الآية التّالية: «وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيٰاطِينَ اَلْإِنْسِ وَ اَلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ اَلْقَوْلِ غُرُوراً. (سورة الأنعام الآية112.). و كذا: «وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ» (سورة الفرقان الآية 31).

[5] سورة المؤمنون الآية التّالية: 99-100.

[6] الدر المنثور للسّيوطيّ، ج5 ص64.

[7] الكشّاف ج3 ص98

[8] سورة المؤمنون الآية 96.

[9] التفسير الكبير، ج23، ص: 292

[10] سورة الحج الآية 52.

[11] التفسير الكبير، ج15، ص: 436

[12] تفسير نور الثقلين، ج1، ص: 286

[13] سورة الحِجر الآية 39-40.

[14] سورة النّور الآية 36-37.